سنوات مبارك الاخيرة

أ - مبارك ورجاله

كان مبارك يعرف رجاله جيدا، واحدا واحدا ويعامل كلا منهم بما يرى أنه يستحقه وأعرف حكاية عن كمال الشاذلي إذ دعاه لحضور كتب كتاب ابنته دخل الرئيس والمأذون هو الشيخ حسن وكان مأذونا مرموقا فهو ايضا عضو بمجلس الشعب وفى زحمة الاهتمام بكتابة الكتاب صاح مبارك ضاحكا "شيخ حسن بذمتك كمال خد منك كام علشان تكتب كتاب بنته. ولم يملك اساطين النظام جميعا بما فيهم كمال الشاذلي إلا الضحك على نكتة الرئيس".

وفى واقعة أخرى عندما زار مبارك مجلس الشورى احتفالا بالتجديد المهيب الذى اعقب الحريق. وكان الاجتماع فى قاعة غاية فى الفخامة والسقف يموج برسوم مذهبه غاية فى الجمال، وحيث

يقف حارس وأمامه زجاجة ماء وكوب يكون مقعد الرئيس وتدافع الحضور وهم اعضاء الامانة العامة للمجلس للجلوس بالقرب من مقعد الرئيس فى الصف الأول على يمين مقعده، فالصف الأول على اليسار به اوراق مكتوب عليها الاسماء لترتيب الجالسين وأولهم المشير طنطاوى ثم صفوت الشريف وهكذا. وفى مقاعد خلفهم جلس جمال مبارك وزكريا عزمى وشخص اعتقد انه الطبيب الخاص. دخل مبارك وبإشارة خافتة منه اقترب رئيس الديوان انحنى ليستمع إلى همسة من مبارك وعاد. وبعدها بدقيقة خرج هو وجمال وانتظرا بالخارج. وتابعت هذه اللقطة فى دهشة. كانت الامانة العامة تحتل المقاعد بقدر ما استطاع المتزاحمون أن يتدافعوا. ولم أكن أنوى الكلام ولا التدافع وبعد أن جلس الجميع.. تركت مقعدين خاليين وجلست فى اشارة إلى أننى لم اتدافع ولا أريد الكلام. وبدأت الكلمات الاحتفالية المعتادة ثم الكلمات الممتلئة بنفاق معتاد ومفترض وربما مفروض، وفجأة نظر مبارك ربما تعبيرا عن ملل أو تنفيذا لفكرة خطرت فى باله، نظر نحوى قائلا انت قاعد بعيد ليه؟ ونظر إلى صفوت انتو عاملين seating يا صفوت؟ فرد لأ يا افندم. فعاد ليسألنى قاعد بعيد ليه؟ فقلت "كل واحد على قد مقاسه" فضحك وقال "قرب شوية" وانتقلت إلى كرسى وتركت الآخر فارغا موحيا اننى متعمد عدم التزاحم. وقال اتفضل انا عايز اسمعك، نظرت إلى سقف الغرفة المتألق وقلت السقف جميل جدا، والجمال إرادة ولكن الإرادة تحتاج إلى مال. ونحن نحتاج تعليم

جميل وصحة جميلة ومستوى معيشة أجمل ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بموارد كبيرة والحل هو الضرائب التصاعدية، ولمحت ابتسامة عميقة على وجه المشير فتشجعت ومضيت، لكن مبارك قاطعني "يقولون أنها ستمنع تدفق المستثمرين.. واجبت وهل يوجد بلد رأسمالي بلا ضرائب تصاعدية؟ حيروح فين؟ وضحك مبارك ونهض منهيا الاجتماع .. وهنا نفذ مبارك الفكرة التي ربما خطرت في باله والتي استدعاني للكلام من أجلها، وفيما يحيط به الجميع كالمعتاد نفاقا، أشار إلي ولدهشتي وضع ذراعه على كتفي وتباعد فتباعد الجميع عنا، وهمس مبارك في أذني "كده كلهم حيضربوا أخماس في أسداس وحيسألوك فلا تجاوب. وبالفعل ارتبك الجميع وبدأت نظرات متسائلة تغلف لفتات صفوت الشريف لكن أحدا لم يتجاسر أن يسألني المهم اقتربنا من الباب ووقف الجميع ليسلم عليهم الرئيس فمضى سريعا وأنا كالعادة الأخير في الصف فقال وهو مبتسم ابتسامة مختلفة "حاسب على نفسك لأن اللي ضد الضرائب التصاعدية حيقطعوك" ووجدت نفسي أقول "أنا ما بخفش يا سيادة الريس" ومضى ومعه جمال.

***

وبمناسبة جمال أذكر عدة وقائع، الأولى عندما كان الرئيس في زيارة سابقة وكان جمال معه فصافحني قائلا "عايز أشوفك" ومضي. والسبب كان حوارا في المجلس حول "المفاعل النووي" وقلت في كلمتي "المصريون لهم شفرتهم الخاصة وقاموسهم الخاص" وعندما

يتحدثون عن المفاعل يقصدون "الضبعة" لأنهم استقر فى مشاعرهم أن هذا مكان المفاعل ولا مكان غيره، والتفت لى وزير الكهرباء د.حسن يونس مبتسما فى ارتياح لم ادرك انه كان مكبوتا. وفيما نغادر الجلسة همس "برافو" ولم أفهم. واقترحت على فريد خميس فكرة أن تبنى الحكومة مفاعلا وأن يبنى الشعب من تبرعاته مفاعلا آخر واعلن فريد فى جلسة للجنة الشئون الاقتصادية عن فتح باب التبرع بعشرة ملايين وانهالت عدة ملايين أخري، وتحمست فكتبت فى الأهرام "فلنبنى لمصر مفاعلا آخر" وبعدها همس محمد كمال وكان عضوا معنا وايضا كان سكرتيرا لجمال، (وقد سبق أن طلبت منه أن يبلغ جمال انه لا يجوز أن يخاطب اجتماع اللجنة السياسية المذاع على الهواء وهو يضع يده فى جيب البنطلون. ونقل الرسالة وبالفعل لم يفعلها جمال مرة أخري)، المهم همس محمد كمال الاستاذ جمال (وهذه كانت التسمية السائدة فى أوساط المحيطين به) عايز يشوفك توقعت أن يكون الامر متعلقا بمشروع الضبعة، ومع مسار الجلسة انتقلت إلى حيث يجلس واحد من كبار الذين اعلنوا تبرعهم وسألته اخبار الضبعة ايه؟ ففزع وقال هامسا "شخطوا وقالوا ابعد عن الموضوع ده"، وعدت إلى مكانى وقلت لمحمد كمال ممكن نحدد الموعد بعد يومين ثلاثة.

واستكمل قصة الضبعة. فأحد كبار المستثمرين فى هذا المكان قابلنى ساعة جنازة المرحوم ابراهيم شكري، وكعادته فى مناداة اصدقائه قال "يا سيد الناس عايز احذرك من المطالبة بمفاعل فى

الضبعة لأن اتجاه الريح سينقل الاشعاعات فى حالة وقوع كارثة مثل تشرنوبل إلى الدلتا ليقتل ويصيب عشرات الملايين" ولم يكن مناخ الجنازة والزحام فى مسجد عمرو بن العاص ملائما لأى نقاش ولا حتى لما قاله المستشمر الكبير ولم أرد. ويبدو انه كرر هذه العبارة مع كثيرين حتى استدعاه مبارك ساعة الخروج من احد الاحتفالات وقال له بصوت عال.. "ابعد عن موضوع الضبعة".

وتناثرت معلومات عن خلاف حتى فى نطاق الاسرة حول "الضبعة" وتأجل الأمر كله رغم إلحاح وزير الكهرباء حسن يونس فالقوى الرافضه كانت الأقوى فهناك جمال وصهره وشركاء صهره..

ونبقى مع رسائل مبارك العلنية التى إعتاد أن يطلقها وكأنها هزار غير متعمد لكنها كانت مقصودة، واذكر يوم عقد قران جمال وقد وجهت الدعوة لعدد كبير فى نادى القوات الجوية ووقف الرئيس وحرمه وجمال وحرمه يتلقون التهانى وكالعادة تزاحم المتزاحمون المعتادون وكنت بعيدا بعض الشيء حتى يخف الزحام اتحدث مع محمود محيى الدين عن أحوال الاستاذ خالد، حتى أوشك الزحام أن يتلاشى فتقدمت للتهنئة لكن الرئيس باغتنى قائلا بصوت مرتفع عايزينك تكتب لنا كتاب ضد فاروق حسنى واللخبطه اللى عاملها. وأجبت وبسرعة "ياسيادة الرئيس بعد ٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة سيردد المؤرخون القادمون أنه فى زمن حسنى مبارك تم انقاذ وترميم الآثار الإسلامية والقبطية وهذا يكفى فاروق حسنى ويزيد، وفوجئت بمبارك يخاطب شخصا يقف خلفى قائلا "إبسط يا عم"

والتفت لأجد خلفي فاروق حسني الذى ظل ممتنا لهذا الرد. لكن المثير للدهشة أن مبارك كرر طلبه هذا أكثر من مرة وكنت اكتفى بالابتسام. (وحاول بعض الذين يزعمون انهم عالمون ببواطن الامور أنها مناكفة عائلية بين الرئيس وحرمة، فقد اشيع أن الفنان فاروق حسني كان يرسم خطوط والوان الموضة لفساتينها).

وبما أن الرئيس كررها فقد حاولت أنا ايضا، ففيما كان الرئيس مرشحا وحيدا فى الاستفتاء الذى اجرى لآخر مرة، قرر حزب التجمع الامتناع عن التصويت مطالبا بانتخابات تعددية وليس مجرد الاستفتاء على مرشح واحد، وأذكر اننى تعرضت لإلحاح مرير من جانب عديد من المسئولين وخاصة د. مصطفى كمال حلمى رئيس الشورى وكمال الشاذلى وغيرهما وكانت الجملة الاثيرة لدى الجميع ضرورة ابراز وحدة الصف فى ظل الظروف الصعبة وفى كل مرة كنت اسأل محدثى هل طلب الرئيس منك ذلك وكانت الاجابة بالنفي.

وكان الاستاذ خالد قد تعرض لذات الضغوط فى مجلس الشعب وأجاب بذات السؤال. وعندما أعلن فوز الرئيس فى الاستفتاء ذلك الفوز المعتاد وبالنسبة المعتادة كانت وفود التهنئة تتدفق على قصر القبة. وسبقنا وفد أمانة مجلس الشعب وعندما اقتربت عبر الطابور من مصافحة الرئيس خطر فى بالى أن أوجه رسالة للسامعين وفيما الرئيس يصافحنى سألته بصوت عالى حضرتك زعلان من موقفنا فضحك وقال ابدا واكملت "لازم الجميع يعرفوا أن الصورة متعددة الألوان اجمل من الصورة ابيض واسود فالتفت إليهم وقال عبارة لا

أعرف أن كانت استحسانا أم لا .. فقال "سامعين" وهز الجميع رؤوسهم .. طاعة من غير رضاء.

* * *

وتكرر الأمر عندما كانت الانتخابات التعددية الاولي .. وقد بدأت ملامح القرار عندما همس الصديق شوقى يونس وكان دائم الجلوس خلفى وفيما الجلسة تناقش مسائل لا أهمية لها ، قال هامسا ستسمع اخبارا هامة جدا بعد يوم أو يومين. وجاء الخبر الهام بتعديل الدستور بحيث تجرى انتخابات الرئيس من بين أكثر من مرشح. وجرت محاولات للضغط علينا للترشح. وفى بادئ الأمر قرر الحزب أن يترشح الاستاذ خالد واعلن بالفعل ترشحه خلال ندوة صحفية اجريت معه فى مجلة المصور وتتالت عدة وقائع .. كنت اسجل على الهواء ندوة مع لميس الحديدى فى ماسبيرو .. ثم فاجأتنى فقالت سنخرج إلى فاصل وبعدها أسألك هل من الملائم أن يترشح الاستاذ خالد وهو فى هذه السن. وأثناء الفاصل قلت بصوت غاضب حذار أن تسألى هذا السؤال فإجابتى ستكون ان خالد محيى الدين ليس اكبر كثيرا من مرشحكم. فقالت يا نهارد اسود .. ولم تسأل السؤال ، لكن الحاضرين جميعا سمعوا .. وطبعا نقل البعض ما سمع.

والذى حدث أننا استشعرنا حقيقة التمثيلية التى تجرى فتقرر انسحاب الاستاذ خالد بحجة حالته الصحية.

وفى ذلك الحين كانت هناك ضغوط أخرى كى اترشح أنا وكان صاحب هذه الضغوط د. نعمان جمعة الذى كان الوفد قد رشحه

للرئاسة وكان يستشعر أنها محاولة من خصومه فى الحزب لإحراجه. وفى جلسة رباعية تكررت عدة مرات (صفوت الشريف- كمال الشاذلي- نعمان جمعة وأنا) طالب نعمان أن اترشح أنا وهو حتى لا يتحمل الاحراج وحده، ورفضت بحسم وكان تحت دعوة د. نعمان إلى برنامج "البيت بيتك" لعرض برنامجه الانتخابى استكمالا لديكور مسرحية الانتخابات وسأله مقدم البرنامج هل ترشح شخصا يساندك أمام جمهور المشاهدين فأختارنى واستكمالا للاخراج المسرحى استدعونى على التليفون وحاول مقدم البرنامج أن يضع بعض الحصى فى فمى قبل أن أؤيد انتخاب نعمان فسألنى ما رأيك فى البرنامج الذى اعلنه السيد الرئيس مبارك فى مدرسة المساعى المشكورة وفهمت الملعوب، فأجبت اجابة لم تكن تخطر على بالى ولا بال نعمان وطبعا لم تخطر على بال مقدم البرنامج قلت فى هدوء "أعتقد أن الرئيس مبارك خالف القانون بأن عقد مؤتمرا انتخابيا فى أحد دور العلم وهذا ممنوع قانونا ولو كنت مرشحا لسافرت فورا إلى المنصورة وعقدت مؤتمرا انتخابيا فى مدرسة الملك الكامل الثانوية. واحسست أن مقدم البرنامج وزميلته قد أوشكا أن يغمى عليهما من الخوف وخرجا إلى فاصل. بعدها قالت لى جاسمين الشريكة فى تقديم البرنامج انها وزميلها كانا فى حالة رعب حقيقي. وبعدها ايضا جرت محاولة اصلاح الديكور الانتخابى فإتجه الرئيس لعقد مؤتمرات فى حديقة الازهر. وعندما سافر إلى المنيا وتمت استضافته فى عشة على شاطئ النيل حيث

تناول الشاى من يد زوجة صاحب العشة الذى تبدى مرحبا بصورة مبالغ فيها . . ارسل زميلنا المرحوم د . وجيه شكرى امين الحزب فى المنيا أن صاحب العشة المزعوم مخبر فى مباحث المنيا ونشرنا الخبر فى الاهالى بما اغضب الكثيرين (وهو ما تكرر نقلا عن جريدة الاهالى فى فيلم طباخ الرئيس) واستمرت التداعيات فقد تحولت اجتماعات رؤساء الاحزاب التى سبقت الانتخابات إلى كوميديا سوداء .

الجلسات تعقد لكى يرتل رؤساء الاحزاب الولاء والمديح للرئيس المرشح والتهكم على منافسيه وكان من بين منافسيه احمد الصباحى (رئيس حزب الامة) الذى اعلن انه يترشح استكمالا لولائه للرئيس وانه سوف يعطى صوته للرئيس (وبالمناسبة هو كمرشح حصل على نصف مليون جنيه دعم من الدولة خصص مثله لكل المرشحين . ولما طلب منه تقديم حساب عن نفقاته رفض مؤكدا انه مش فاكر) . المهم اتفقنا نعمان جمعة وضياء داود وانا على الانسحاب من هذه الاجتماعات التى توقفت بعدها ، ومنح كل رئيس حزب من غير المنسحبين خمسون الف جنيه كسلفة تستقطع من الدعم الذى يقدم للحزب على اقساط . . ولم تستقطع . وقد نبه عليهم عدم إعلان ذلك . لكن المستشار فرج الدرى ابلغنى بذلك سرا ، وشجعنى على أن أطلب مثلما كان للاخرين ، ورفض صفوت الشريف معربا عن غضبه ، وربما متصورا انه يلقننى درسا فى ضرورة الطاعة ، ولكنى لم اتعلم الطاعة وظللت كما أنا .

ب - حلقة النار

وقد نجح زكريا عزمى فى أن ينسج شبكة غير مرئية تحكم حصارها على مبارك بحيث يمتنع على أحد الاتصال بالرئيس إلا عن طريقه وحده. وكان يسميها متباهيا حلقة النار.

وأذكر أن صديقا هو د. طه عبد العليم تم اختياره رئيسا للهيئة العامة للاستعلامات وهو منصب هام، وفى إحدى سفريات الرئيس اصطحبوه على الطائرة الرئاسية واستدعاه الرئيس خلال الرحلة ليتعرف عليه، وبعد حديث قصير كان على د. طه أن يترك المقصورة الرئاسية فتجاسر وقال للرئيس "أنا من موقعى يا سيادة الرئيس احتاج إلى الاتصال بسيادتكم لاتلقى توجيهاتكم" ورد مبارك "ان شاء الله". لكن زكريا عزمى إنتحى به وزجره بشده "أنت كده تخترق حلقة النار" ولم يدرك د. طه عمق الكارثة، وعندما تحدث معى عقب عودته تليفونيا وروى ما حدث قلت له احذر فقد يطاح بك. وبالفعل ربما بسبب ما طلبه من الرئيس أو بسبب أنه حكى لى ما لا يجب أن يحكى .. أطيح به.

ج - مبارك والبابا شنودة

وذات يوم استدعانى قداسة البابا شنودة غاضبا وساخطا بعد حكم محكمة الجنايات ببراءة المتهمين فى قضية قرية الكشح وقال : بلغ الرئيس أن دم الاقباط مش ماء. وكان الأمن قد رتب المحاضر لتقود لهذا الحكم خاصة وأن المعتدى عليهم كانوا يوجهون اتهامهم الاساسى لشخص واحد وكان من الصعب

تصور تواجده فى أكثر من مكان فى وقت واحد.. والقاضى يحكم بما أمامه من أوراق. واتصلت بجمال عبد العزيز السكرتير الخاص للرئيس بعد اتصال بتليفون د. زكريا الخاص ولم يرد. وأجاب جمال عبد العزيز الرئيس عنده ضيف "سأتصل بك فور انتهاء المقابلة"، ولم يتصل. ولم أكرر المحاولة. واعتقد - مجرد اعتقاد- أن سكرتير الرئيس كان متمما لحلقة النار وأبلغ د. زكريا الذى طلب منه إلا يبلغ الرئيس منتظرا أن أتعلم إلا اخترق حلقة النار، وعاند وعاندت فلم أكرر المحاولة لا من جمال ولا من زكريا رغم أننى كنت ابلغت السكرتير أن الأمر هام جدا وعاجل جدا. وبعد يومين اتصل د. زكريا "انت زعلان مننا" وقلت لأ مش زعلان. وقال أن جمال نسى يبلغ الرئيس وسألنى ماذا كنت تريد؟ وقال بتودد أنا تحت أمرك. فقلت له ما قاله البابا وقلت اقترح أن يكلمه الرئيس. وبعدها بدقائق كان الرئيس على التليفون وقال أن القاضى امامه اوراق متوضبة لصالح المتهمين وبلغ البابا أن النيابة ستطعن فى الحكم أمام محكمة النقض. وصمت البابا عن غيظ شديد.

والحقيقة أن العلاقة بين مبارك والبابا كانت معقدة جدا لأن موضوع الكنائس كان معقدا. واذكر أن د. زكريا طلب أن أزوره فى قصر عابدين وهناك أطلعنى على رسالة من وزير الاوقاف آنذاك د. حمدى زقزوق يشير فيها إلى زيارة قام بها للنمسا حيث وجد حالة من الاحتقان عند الاقباط المصريين بسبب موضوع نشر فى نشرة

الكرازة المرقسية ويشار فيه إلى غضب قبطى بسبب عديد من الاوضاع.. وقال: الرئيس يطلب منك أن تزور البابا ويستحسن أن تقابله منفردا لتسأله عن طلباته، والرئيس مستعد لتلبية ما هو معقول. واتصلت ورتبت موعدا بالدير.. حيث يكون البابا منفردا. وكان د. زكريا قد لحقنى وأنا على السلم ليقول "متقولوش انك تحمل رسالة من الرئيس، وهاتها من عندك انت"، وما أن انفردنا حتى قلت لقداسة البابا اشعر انك لست على ما يرام مع الرئيس، فابتسم ثم صاح بعد فترة تأمل لعله تأمل الدافع وراء زيارتى وخلف سؤالي، وبدأ الشكوى بالحديث عن سابق طلبه لكنيستين فى الوادى الجديد، اذكر أن احداهما فى بلده موط. وقال الناس كلها تعرف أن القبطى لازم يخطب خطيبته فى الكنيسة ويتجوزها فى الكنيسة ولما يموت لازم يتصلى عليه فى الكنيسة، وموط فيها اقباط كثير، واللى يموت يحطوه فى الصندوق على حمار ويسافروا بيه مشوار طويل جدا، لأن مفيش طرق ولا عربيات تقدر تمشى فى الصحراء. وقالوا الرئيس وافق من سنتين ولسه. ثم سألته هل مثلا تجدون أن من الملائم أن يكون هناك محافظ قبطي؟ فسأل ايه المانع يعني؟ وتضاحكنا وودعته وفيما اغادر نادانى قائلا: زى ما قالوالك ما تقلش أن احنا اللى باعتينك، أنا بقولك متقلهمش أن انا اللى طلبت. وضحكنا معا.

وبعدها اتصلت بزكريا عزمى فرفض الحديث فى التليفون وقال تعالى فورا. وفى مكتبه قلب اوراقا ثم استخرج المذكرة المعروضة

على الرئيس بشأن كنيستى الوادى الجديد وعليها توقيع مبارك تحت عبارة "لا مانع" والتاريخ قبل سنتين، وقال روح فورا لحبيب العادلى وشوف معاه الموضوع لماذا تأخر. وكان العادلى منتظرا وقرأ التأشيرة وطلب مدير أمن الوادى الجديد وكان الرد البارد "مقدموش عقد يفيد تملكهم للارض". وفيما يرد عليه العادلى صرخت أنا الكنيسة تمتلك الارض من خمسمائة سنة ولم يكن هناك عقود تمليك وحتى الآن لا يوجد فى هذه المناطق شهر عقارى ولا عقود تمليك وشخط العادلى "الموضوع يخلص فورا" و"خلص الموضوع فورا".

اما عن موضوع المحافظ فقد سألنى د. زكريا هل هو عنده مرشح؟ وسألت والاجابة كانت اسأل د. ثروت باسيلى (وكيل المجلس الملي) وفى اليوم التالى جاءنى C.V. للمرشح.. اذكر انه كان طبيبا فى مستشفى منشية البكري" لكننى متأكد أن اسمه "اكلمنديس" وطبعا كان رد زكريا متعلقا بالاسم لكننى كنت واثقا ان اختيار المحافظ أى محافظ لا يمكن أن يكون لأحد غير الرئيس، وعين الرئيس محافظا مسيحيا آخر.

والحقيقة أن موضوع الاقباط كان يشغل بال مبارك وان كان يتعامل معه بحرص شديد يوحى بتردد يخاف من تداعيات لا يجوز الخوف منها، وكنا فى اللجنة المصرية للوحدة الوطنية وخاصة منير عبد النور وأنا نبذل جهدا فى الإلحاح على حل مشكلات تتناثر هنا وهناك وخاصة فى مجال التعليم. وذات يوم كنت عند قداسة البابا

وكعادته فى كثير من الاحيان كان يتهكم ضاحكا وشاكيا فى نفس الوقت، وحكى قصة طالب طب كان يخشى من امتحان الشفوى لأن الاستاذ متعصب ضد الاقباط فإحتاط وسأله الاستاذ اسمك؟ مجدي. مجدى ايه؟ ابراهيم، ابراهيم ايه؟ كمال. كمال ايه؟ وما من مفر فقال بطاريس، فشخط الاستاذ قوم ده بطرس واحد بيسقط. وعاد الفتى باكيا.

وذات يوم اتصل الرئيس مبارك وسأل كالمعتاد البابا صاحبك زعلان والتقارير بتقول انه يشكو بمرارة، فحكيت له حكاية "بطاريس" وزدت عليها أن هذا الاستاذ يتعمد أن يمتحن الطلاب يوم ٧ يناير ليغيظ الاقباط فضحك أولا على اسم "بطاريس" ثم قال كلم الدكتور حسين (وزير التعليم والتعليم العالى حسين كامل بهاء الدين) يشوف حل وبلاش امتحانات يوم ٧ يناير. فرد الدكتور حسين "الاستاذ الممتحن كان استاذى ومن الصعب على مجادلته فى هذا الامر والحل أن يصدر الرئيس قرارا بذلك، وأردف وعلى أن حال عندما كنا طلبه كانوا يمتحوننا فى عيد الفطر أو عيد الاضحى كنوع من التأكيد على أهمية دراسة الطب".

ونقلت الاجابة إلى د. زكريا وجاء الرد بعد اقل من ساعة "خلاص يا سيدى الرئيس قرر اعتبار ٧ يناير اجازة رسمية ويمكن كمان عيد القيامة" واسرعت ونقلت الخبر إلى البابا شنودة الذى ابدى ابتهاجا غير معتاد لكنه لدهشتى رفض اجازة عيد القيامة لأن

ذلك سيثير قطاعات كبيرة من المسلمين الذين سيتذكرون ساعتها " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم" ودهشت ليس فقط لأن البابا يتذكر نصا قرآنيا وإنما لحرصه البالغ والسريع جدا بالنسبة لاجازة عيد القيامة.

وابلغت د. زكريا الذى قال "كده يلقن البابا الجميع درسا فى الوطنية، وبعدها عندما زرت قداسة البابا همس فى اذنى وأنا اغادر ستذكر الكنيسة فى تاريخها أنك صاحب "٧ يناير اجازة رسمية".

ولم أزل فى غمار ذكريات لا تنتهى حول العلاقة الشائكة والغامضة بين مبارك والبابا، وذات يوم وانا فى مجلس الشورى اتصل بى شخص من طرف انبا مرقص (اسقف شبرا الخيمة) ليبلغنى ان رئيس الحى إصطحب الامن وعشرات العمال ويهدمون الآن مبنى خدمات كنيسة شبرا الخيمة، واتصلت بمحافظ القليوبية المستشار عدلى حسين وهو صديق عزيز فقال بيقولوا مش كنيسة ومبنى بدون ترخيص وسريعا حضر د. ثروت باسيلى فقد اخرجه تليفون من الجلسة ليقدم ذات البلاغ. (وكان البابا خلال زيارة لنا نحن الاثنين له فى الدير وعندما قلت له ارجوك يا قداسة البابا لا تشغل بالك بالتفاصيل الصغيرة وفوض شخصا تثق به فى أن يتولاها.. فأشار إلينا انتو الاثنين مع بعض).

واتصلت بالدكتور زكريا فإذا به يقول :كنيسة شبرا الخيمة؟

عندى خبر، بس دى مش كنيسة، ده بيت خدمة بنى دون اذن ودون ترخيص" فدخلت فى حوار حول حساسية الموضوع خاصة أن انبا مرقص صعد الموضوع وهو مصمم أن الهدم طال جزءا من الكنيسة.. وبعدها بساعة تلقيت مكالمة منه "الرئيس امر بإعادة الشيء لأصله وباعادة المبنى إلى كما كان وتتحمل المحافظة التكلفة، وطلب أن اذهب غدا لمقابلة المحافظ وحل الموضوع. وكان انبا مرقص قد تلقى ذات الاجابة عبر طريق آخر وذهبنا إليه د. ثروت وانا فى طريقنا إلى بنها فوجدنا أمامه رسما معماريا أعد على عجل يعيد بناء مدخل الكنيسة برخام يغطى السلالم ويتصاعد ليغلف كل الواجهة ثم يصعد ببرج الكنيسة إلى أعلي.. واما مبنى الخدمة فهو مفتوح على قاعة الكنيسة الرئيسية. فنظرت إلى د. ثروت وتفاهمنا وقال ثروت أن هذا ليس اعادة الشيء إلى اصله وانما اعادة بنائه بفخامة مبالغ فيها. وفى بنها قال المستشار المحافظ نفس الشيء.. وفيما نشرب القهوة اتصلت همسا بقداسة البابا الذى ثار ثورة عنيفة وقال ولا طوبة واحدة زيادة كفاية أن الرئيس انصفنا، ومش عايزين رخام ولا فخامة.. وذهبنا مع المحافظ إلى موقع الكنيسة ومعنا انبا مرقص وهالنى منظر الشارع الضيق جدا والذى تصاعدت كل مبانيه كأبراج يصل بعضها إلى ١٢ دور بحيث يخيل إليك أن الابراج المتقابلة توشك أن تتلامس فى أدوارها العليا لتغلق بوابات الضوء والشمس وحتى الهواء.. وسألت المحافظ كل ده

مخالف؟ فقال مندهشا : واضح. وسألت اشمعنى رئيس الحى اختار مبنى الخدمات فقط؟ فقال سأنقله فورا. وصمم انبا مرقص على موقفه، ورفضنا جميعا واخيرا استخدم المحافظ سلاحا ظل سريا فقال " : الكنيسة ومبنى الخدمات مبنيتان على ارض زراعية ولا استطيع فعل شيء إلا بموافقة وزير الزراعة، وبعد اتصال بالدكتور زكريا ثم اتصال من الكنيسة بانبا مرقص هدأت المناقشات وأعيد الشيء إلى أصله.

لكننى لا استطيع أن اتباعد عن عطر الكتابة المصطحبة لاسم قداسة البابا شنودة دون أن استمتع بذكر رسالتين خطيتين تلقيتهما من قداسته.. وذات يوم فى جلسة مسترخيه فى الدير قال لى لا اذكر أننى كتبت رسائل شخصية بخطى إلا لك انت .. وشعرت باعتزاز . ولم ازل.. الاولى كانت بمناسبة انتخابى رئيسا لحزب التجمع. والثانية ارسلت من امريكا بالفاكس بمناسبة العيد الثلاثين لصدور جريدة الاهالى وتوقفت طويلا أمام مديح لا استحقه من شخص مثل قداسته ولا اخفى اننى كلما امسكت بالرسالتين فى اطارهما الفضى لم ازل وحتى الان اشعر بعطر انفاس قداسته واستأذن فى أن امنح كل ما كتبت وما سأكتب بركة قداسته بنصهما.

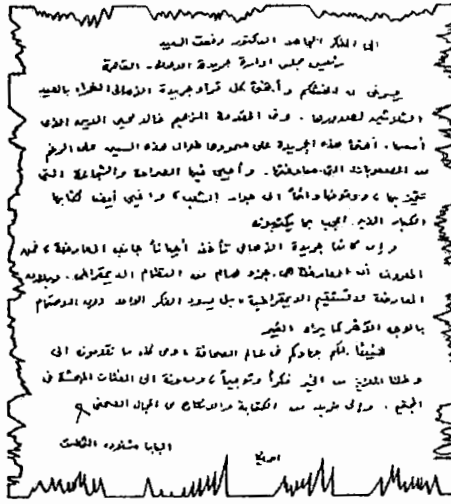

الى المفكر المجاهد الاستاذ رفعت السعيد
رئيس مجلس ادارة جريدة الاهالي - القاهرة

يسرني ان اهنئكم وأهنئ كل قراء جريدة الاهالي الغراء بالعيد
المشرشيد لصدورها . وقد اهتدت العزيم خالد محيي الدين الذي
أسسها . أهنئها هذه الجريدة على صمودها طوال هذه السنين على الرغم
من الصعوبات التي صادفتها . وأحيي فيها الصراحة والشجاعة التي
تتميز بها ، وتوخوها دائماً في عرض الشئون ، وفي أيضاً كتابها
الكبار الذين يجب بما يكتبونه

وإني كما أشار جريدة الأهالي تأخذ أحياناً جانب المعارضة ، فمن
الضروري أن المعارضة هي جزء هام من النظام الديمقراطي . ويجب على
المعارضة تدعيم الديمقراطية ، بل يسود الفكر الواحد الذي يؤدي الوطن
بالوجه القاهر كما يراه الغير

فتحياً لكم جاءكم في عامها الصحافة ، وهي لذا ما تقدمون الى
وطننا العزيز من افكار نيرة وتوجيهاً ، وصولة الى الغايات المرجوة في
الجتمع . وإلى مزيد من الكفاح في المجال الصحفي

البابا شنوده الثالث

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM HIS HOLINESS POPE SHENOUDA III
Ibn Aisha Palace, Ramses Avenue, ABBASSIA
CAIRO, EGYPT
CABLE & TELEX ADDRESS & AREA

البابا شنوده الثالث
بطريركية الاقباط الارثوذكس

صديقنا العزيز الاستاذ رفعت السعيد

سلام ومحبة ، وبعد :

يسرني ان أهنئكم برئاسة حزب التجمع الوطني
هذه الرئاسة التي وصلت اليها بالثقة الكاملة فيكم
من أعضاء الحزب ، وبالتزكية في الانتخاب
ربما هذه المناسبة ، أحب ان اصل تحياتي وتقديري
الى الاستاذ الكبير خالد محيي الدين زعيم حزب التجمع
ومؤسسه ، والذي يحظى بثقة كبيرة وتقدير عظيم من الرئاسة
في الحزب . ليكلله الرب معكم جميعاً

البابا شنوده الثالث

وربما لو اطلت التأمل لكتبت مئات الصفحات لكننى سأكتفى بعبارة واحدة لم تزل محفورة فى اعماقي. كنت فى زيارته إلى الكاتدرائية وكالعادة التف حولنا عدد من الآباء اتى احدهم غاضبا من ابراشيته فى الصعيد وظل يشكو تصرفات غاية فى الرداءة ضد شعبه وكنائسه هناك والبابا صامت لكن المطران الغاضب قال: انت يا سيدنا تأمرنا بالهدوء وكلما سكتنا زادوا هم من تطاولهم فإنصفنا نحن ابناؤك وامنحنا الاذن بالاحتجاج وظل البابا صامتا وصمت الجميع، وبعد فترة قال البابا "ليس فقط لأن الرب يأمرنا "احبوا مبغضيكم وباركوا لاعنيكم" وإنما لأن سلامتكم وحقوقكم فى عنقى ومعها وفوقها سلامة وأمن مصر كلها، وأنا اخشى وأحاذر من أن تغرق مصر فى دماء طائفية حتى لو احتملنا نحن".

وفى المراحل الاخيرة من مرضه الاخير همس أحدهم فى أذنى البابا مريض جدا، ويتألم جدا آلاما فوق اية قدرة على الاحتمال لكنه يخفى آلامه.. فاتصلت به فى كليفلاند حيث يعالج ورد على "انبا..." فقال "قداسة البابا بخير ولكنه يستريح بعض الوقت، وانا سأبلغه باتصالك وسمعت صوت قداسته يسأل بحدة مين بيتكلم؟ ولما عرف صاح هات التليفون، وكلمنى ضاحكا أو متظاهرا بالضحك أنا كويس وأول ما أرجع سأتصل بك..

وبالفعل عاد البابا ليتصل بى وقال بهدوء عاوز أشوفك.. ولست ادرى لماذا خيم على احساس حزين يوحى بأنه اللقاء الاخير. وانتظرت دقائق تبدت طويلة جدا وانا جالس فى مكتبه.. وتذكرت

أن منير عبد النور (عضو المجلس الملى وصديقى العزيز قال لى أنه فى أحد اجتماعات المجلس كان قداسته متجهما جدا فهمس احدهم فى اذن جاره حد يجيب سيرة رفعت السعيد وقداسته سيضحك. وسأل قداسته بتقولوا ايه لبعض؟ واجاب احدهما بما سمع فضحك البابا فعلا، قائلا هو صديق عزيز فعلا). وفيما اتمنى أن أراه ضاحكا اتى قداسته متماسكا ومبتسما موحيا للجميع انه فى أتم صحة وكما اعتدت دائما احتضنت قداسته ويبدو أننى اطلت فتخلص برفق وبدأ حديثا ضاحكا وخوفا عليه من التعب استأذنت سريعا، وخيم على احساس انه عندما وقف ليودعنى انه الدواع الاخير.. وسكب فى اذنى انفاسه العطره وهو يقول خلى بالك من نفسك ومن صحتك.. وربنا هيحميك وأنا حا أدعيلك باستمرار. وصحبنى إلى الخارج حتى جاءت السيارة، فى كل مرة كان يفعلها وفى كل مرة كنت ألمسه برفق قائلا اتفضل ادخل يا سيدنا لكنه يصمم أن يبقى حتى تأتى السيارة. هذه المرة لم افعل وتمنيت ألا تأتى السيارة لأبقى معه لحظات أخري.. واحسست أنه ايضا لا يلتفت إلى السيارة إذ وصلت وظل واقفا معي.. واحسست انها نهاية اللقاء الاخير معه. وبالفعل كان رحيله بعد يومين.

وتبقى ملاحظة أخيرة فى مسألة علاقة مبارك بالمسألة القبطية.. كانت دماء الكشح لم تجف بعد، وكان ثمة تجديد نصفى فى مجلس الشورى وثمة تعيينات لاعضاء جدد، اتصلت بدكتور زكريا وقلت له ما رأيك فى أن يجرى تعيين مسيحى من الكشح فى "الشوري"،

بعدها بساعات اتصل وسألني.. صاحبك عنده اقتراح باسم معين؟ وسألته صاحبى مين؟ واجاب البابا، قلت له البابا لم يفاتحنى فى الامر ولا انا فاتحته.

وبعدها صدرت قرارات التعيين وفيها رجل اعمال مسيحى من قرية الكشح، لكن المثير للدهشة أن القرار وضع فى النص الرسمى إلى جوار الاسم وبين قوسين عبارة من قرية الكشح، وتصورت أن خطأ اداريا ترك هذه الاشارة مكانها، ولكن وفيما اتندر بذلك فى حوار مع البابا اسند قداسته يديه على العصا وقال فى هدوء وكأنه يوجه الحديث لشخص غير موجود "ربما اراد أن يسجل فى وثيقة رسمية ما قد يقرأه البعض بعد سنوات عديدة ليسجل انه كان متعاطفا مع ضحايا الكشح وبالفعل راجعت مرسوم التعيينات فى "الجريدة الرسمية" فوجدت ذات العبارة، وربما كان البابا على صواب.